

المقاومة خارج المكان: المنفى موقعاً مقاوماً

Resistance outside the place: exile is a site of resistance

زوليخة جنادي*

ملخص البحث:

يرى الباحثون أن للمكان بعد فلسفي فكري، خاصة عند من ينقّب في بطون كتب تاريخ الفكر الإنساني سواء العربي الإسلامي منه أو الغربي. فالبحث والتنقيب يفصح لنا عن وجود كثير من الشواهد والأمثلة التي تدل على أن المكان أخذ أبعاداً فكرية وفلسفية واجتماعية كثيرة في التراث الإنساني على مرّ العصور. وتتكشف معضلة المكان في شكلها المعقد، حينما يلامس التفسير والتأويل تخوماً، يكون فيها المعنى أكثر ارتباطاً بالمكان وإحياءاته. وكأن المعنى لا يكتسب أبعاده القصوى إلا إذا استرقد المكان، واستخلص منه محمولاته الدلالية. فإذا اقتصر التأويل على المعطيات الفكرية، والاجتماعية، والنفسية مثلاً فإن صنيعة ذلك يظل ناقصاً، مهما كانت درجة العمق والإجادة في خطابه. بل إننا نزعّم الساعة أن التأويل الذي يكتفي بذلك النزر القليل من الفحص، وتأويل ناقص. لا يمكن أن يصل إلى عمق النص أبداً، مادامت المعطيات نفسها لا تتأسس قاعدة علمية، إلا إذا أخذت حظها من الارتباط التشعبي الذي يشدها إلى المكان. وفي هذا الصدد نجد في كتاب: الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكاناً دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية للدكتور صالح خليل أبو أصبح، والذي يستعرض خطابات المهاجرين الفلسطينيين في المنفى؛ حيث تجلّى الخطاب المضاد لهذه السردية من خلال مشاهد البؤس والحرمان والتهميش الذي يتعرض لها الفلسطينيون. تطمح هذه الدراسة إلى إبراز دور سردية المنفى في مقاومة الحرب بعيداً عن البلد الأم، من مكان المنفى، وهذا الأخير ليس مفهوماً سكونياً جامداً، بل صيرورة متطورة، بل هو جملة من العلاقات والأعراف والمواضع المتطورة، كما أنه ظاهرة خاضعة للتطور الزمني وذو وظائف حياتية مسطرة قبلياً، ركز عليه الأدب المعاصر وشحنه برموز وأبعاد ودلالات

*المركز الجامعي مرسلّي عبد الله-تيازة-الجزائر .zodjenadi@gmail.com

مختلفة، لتصبح ذات دلالة فكرية معقدة نسبيا. من خلال هذا الطرح، يمكننا أن نتساءل: هل يعتبر المنفى موقعا مقاوما أم هو مأساة ثانية بالنسبة للمبدع الفلسطيني؟
حثا للخطى صوب مناقشة هذه الإشكالية قمنا ببيان أهمية المكان ودوره في الإبداع السردى، وإبراز معاناة المهاجرين الفلسطينيين داخل أراضي الجزيرة العربية، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال هذه الدراسة.

Abstract

Researchers believe that the place has a philosophical and intellectual dimension, especially for those who delve into the depths of books on the history of human thought, whether Arab-Islamic or Western.

Research and exploration reveal to us the existence of many evidence and examples that indicate that the place has taken on many intellectual, philosophical and social dimensions in human heritage throughout the ages.

The dilemma of place is revealed in its complex form, when interpretation and interpretation touch boundaries, in which the meaning is more closely linked to the place and its implications. It is as if the meaning does not acquire its maximum dimensions unless it takes advantage of the place and extracts its semantic predicates from it. If interpretation is limited to intellectual, social, and psychological data, for example, then his work remains incomplete, regardless of the degree of depth and proficiency in his speech. In fact, we now claim that an interpretation that suffices with just that little bit of examination is an incomplete interpretation. It can never reach the depth of the text, as long as the data itself does not establish a scientific basis, unless it takes advantage of the hyperlink that links it to the place.

In this regard, we find in the book: The Palestinian Novel and Exile The Arabian Peninsula is a place of study in the Palestinian novel experience by Dr. Saleh Khalil Abu Subah, which reviews the discourses of Palestinian immigrants in exile. The counter-discourse to this narrative was evident through the scenes of misery, deprivation, and marginalization to which Palestinians are exposed.

This study aspires to highlight the role of the exile narrative in resisting the war away from the home country, from the place of exile, and the latter is not a static, static concept, but rather an evolving process. Rather, it is a set of evolving relationships, customs, and situations, and it is also a phenomenon subject to temporal development and with ruled life functions. Previously, contemporary literature focused on it and loaded it with different symbols, dimensions, and connotations, making it have a relatively complex intellectual significance. Through this proposition, we can ask: Is exile considered a site of resistance or is it a second tragedy for the Palestinian creator?

In order to move towards discussing this problem, we have demonstrated the importance of place and its role in narrative creativity, and highlighted the suffering of Palestinian immigrants within the lands of the Arabian Peninsula, and this is what we will learn about through this study.

مقدمة:

يرى الباحثون أن للمكان بعد فلسفي فكري، خاصة عند من ينقّب في بطون كتب تاريخ الفكر الإنساني سواء العربي الإسلامي منه أو الغربي. فالبحث والتنقيب يفصح لنا عن وجود كثير من الشواهد والأمثلة التي تدل على أن المكان أخذ أبعاداً فكرية وفلسفية واجتماعية كثيرة في التراث الإنساني على مرّ العصور.

وتتكشف معضلة المكان في شكلها المعقد، حينما يلامس التفسير والتأويل تخوماً، يكون فيها المعنى أكثر ارتباطاً بالمكان وإحياءاته. وكأن المعنى لا يكتسب أبعاده القصوى إلا إذا استرفد المكان، واستخلص منه محمولاته الدلالية. فإذا اقتصر التأويل على المعطيات الفكرية، والاجتماعية، والنفسية مثلاً فإن صنيعه ذاك يظل ناقصاً، مهما كانت درجة العمق والإجادة في خطابه. بل إننا نزعّم الساعة أن التأويل الذي يكتفي بذلك النزر القليل من الفحص، تأويل ناقص. لا يمكن أن يصل إلى عمق النص أبداً، مادامت المعطيات نفسها لا تتأسس قاعدة علمية، إلا إذا أخذت حظها من الارتباط التشعبي الذي يشدها إلى المكان.

وفي هذا الصدد نجد في كتاب: الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكانا دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية للدكتور صالح خليل أبو أصبح، والذي يستعرض خطابات المهاجرين الفلسطينيين في المنفى؛ حيث تجلى الخطاب المضاد لهذه السردية من خلال مشاهد البؤس والحرمان والتمهيش الذي يتعرض لها الفلسطينيون.

تطمح هذه الدراسة إلى إبراز دور سردية المنفى في مقاومة الحرب بعيدا عن البلد الأم، من مكان المنفى، وهذا الأخير ليس مفهوما سكونيا جامدا، بل صيرورة متطورة، بل هو جملة من العلائق والأعراف والمواضعات المتطورة، كما أنه ظاهرة خاضعة للتطور الزمني وذو وظائف حياتية مسطرة قريبا، ركز عليه الأدب المعاصر وشحنه برموز وأبعاد ودلالات مختلفة، لتصبح ذات دلالة فكرية معقدة نسبيا. من خلال هذا الطرح، يمكننا أن نتساءل: هل يعتبر المنفى موقعا مقاوما أم هو مأساة ثانية بالنسبة للمبدع الفلسطيني؟

حثا للخطى صوب مناقشة هذه الإشكالية قمنا ببيان أهمية المكان ودوره في الإبداع السردى، وإبراز معاناة المهاجرين الفلسطينيين داخل أراضي الجزيرة العربية، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال هذه الدراسة.

1 المنفى موقعا مقاوما

ارتبطت دراسة المنفى بالتحليل الروائي أساسا، لكون المنفى هو المكان و المجال الذي تجري فيه أحداث الرواية. ولا بد للحدث من إطار يشمل، ويحدد أبعاده، والروائي في استعماله للرموز اللغوية وتشكيله لدلالاتها، وبخاصة الأظرفة والأسماء المكانية إنما ينزع نحو نوع من التحديد البصري الدقيق للمرئيات، وذلك عن طريق استنفار حاسة البصر فينا واتخاذها كمنطلق أساسي لتصوراتنا. ونظرا لهذا التشكيل اللغوي للمبصرات في الإبداع، ذلك لأن التوظيف اللغوي لدى الروائي لا يكون إلا تبعا أو نتاجا لتصوره النفسي/الاجتماعي، ونتيجة لما يلقاه في المكان.

1.1 أهمية المكان :

يلعب المكان دوراً هاماً وحاسماً في تكوين حياة البشر، وترسيخ كياناتهم وتثبيت هويتهم وتأطير طبائعهم، وطبعها بطابعه الخاص (أي طابع المكان)، وبالتالي تحديد تصرفاتهم وتوجهاتهم، وإدراكهم للأشياء. وهذا لكونه أشد التصاقاً بحياتهم، وأكثر تغلغلاً في كياناتهم، وأعمق تجادلاً مع ذواتهم. وعليه، فإن كان الزمن يُدرك "إدراكاً غير مباشر من خلال فعله في الأشياء فإن المكان يدرك إدراكاً حسياً، يبدأ بخبرة الإنسان بجسده: هذا الجسد "المكان" أو لنقل بعبارة أخرى "مكمن" القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية للكائن الحي"¹ ليتعداه بعدها إلى أقرب مكان إليه، وهو الحيز الذي يحتويه كالثياب، ثم إلى الغرفة، ثم غيرها من الأمكنة.

وتتراتب هذه الأحياز المكانية في الأهمية تبعاً لوظيفة كل منها، وعلاقة الفرد بها إن شدة أو ضعفاً، وتتسع وتضيق تبعاً لساياكولوجية الفرد الانعزالية أو الانفتاحية. ولعل هذا ما يفسر قلق الإنسان وخوفه على المكان إذ هو مُهدد؛ لأن تهديد هذا الأخير هو بالضرورة تهديد لكيان الفرد وهويته وإطاره الذي لا يكون إلا به، فالمكان وبخاصة الأليف كالبيت - كناية عن الذات ولذلك فكل عدوان يتعرض له المكان يعتبر عدواناً على الذات، باعتبار أن "تصاعد العدوان انتقال رمزي من المكان الرمز للأنا (البيت) إلى الأنا ذاتها"²، ولا أدل على ذلك من تلك الحروب الشرسة التي تخاض من أجل اغتصاب الأمكنة أو من أجل استرجاعها، ويتبدى ذلك حتى على المستوى الفردي في الحياة اليومية (في الحافلات، والمدرجات، وحتى الأقسام التربوية).

ولعل ما يفسر أهمية المكان أكثر، ويعكس شدة تغلغله في كيان الفرد هو أنه المنطلق لتفسير كل تصرف. فلا يُحكم على سلوك الإنسان إلا من خلال تواجده في المكان، فما يتبدى في مكان ما إنه غير لائق، قد لا يبدو كذلك في غيره من الأمكنة. أضف إلى ذلك أن جل مفاهيم الإنسان الأخلاقية، والنفسية والاجتماعية وحتى الإيديولوجية، لا يعبر عنها إلا تعبيراً مكانياً صرفاً (كأعلى، وأسعى، ووضع، واسع الصدر أو ضيقه ويمين، يسار، وتطرف وسطية...)، وعلى هذا فهو خير معين للإنسان إذ أنه يمدّه بتصوراته ومفاهيمه، كما أنه يشكل له وبخاصة للمبدع حلاً مريحاً وآمناً،

إذ ينقذه من السقوط في السطحية ويخلصه من المباشرة في معالجة الأحداث وبخاصة السياسية منها.

إذن ومن أجل هذا، احتل المكان شأن الزمان في الدراسات الفلسفية والأدبية وإن كانت متأخرة نسبيا حيزا لا بأس به، ويرجع هذا الاهتمام لكون المكان دعامة أساسية لكل تصور إنساني كما سبق القول، ولكونه منطلق كل دراسة تريد أن تدرك أبعاد النص وخلفياته النفسية والاجتماعية، كما أنه منطلق كل دراسة تسعى لأن تكون جادة، وقريبة من الصواب؛ فكما أن "تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكل بعدا جماليا من أبعاد النص"³ فإن معاشة الإنسان للمكان وتآلفه معه، أو معاداته له، يشكل الخلفية الارتكازية لكل تصور أو توجه أو تشكيل في.

2.1 المقاومة والمنفى:

يعتبر المنفى وعاء حسيا يصب فيه الأديب شحناته الإنفعالية، ولما كانت علاقة هذا الأخير بذلك المكان، ذات طبيعة توترية، فإن الشعور الأكثر بروزا هنا، هو الإحباط والإنفصال، والإحساس بالعجز والتحجم وحقارة الذات؛ نتيجة لتلك المادية المفرطة التي يتميز بها هذا المكان، والتي تصدم حواسه في كل آن وتشعره بالثقل وتكبيل الإرادة، وعرقلة الانطلاق، وعندها يكره الأديب حدوده المادية والنفسية، ويتبرم من سطوتها.

حينئذ يصبح المكان وخاصة المعادي منه، ضرورة إنسانية، للعيش ضمنه والعمل على تحقيق الذات فيه، خاصة عندما "ارتحل الفلسطينيون إلى منافيهم وهي تبدو كأنها اختيارهم، لكنها كانت هجرة إجبارية، بمعنى أن الخيارات أمامهم كانت محدودة، وليس من سبيل أمامهم سوى الهجرة كي يوفرُوا لأسرهم لقمة عيش كريمة"⁴ و في الآن نفسه مشكلة إنسانية، ضاربة بجذورها في أعماق الشعور، ولافحة لوجدان الأديب قبل شغل تفكيره، نظرا للتحدي الذي يواجهه باستمرار، والتهديد الذي يلقيه.

وعليه يمكننا القول إن التعبير بأطر المكان هو تعبير عن إشكالية حضارية صميمية ووجودية مؤلمة، تضرب بأطفالها في صميم الواقع النفسي والمادي للإنسان المعاصر، فتتخلخل علاقته بالمكان، ويصبح أكثر مأسوية.

2 المنفى والإبداع:

مهمة الأدب عند المبدع لا تتمثل في سرد أحداث الحياة اليومية أو تسجيلها، بل في إعادة تشكيل خبرات هذه الحياة، وتصعيدها إلى شيء خاص، ذي طابع أدبي يرتكز على هموم الشعب، "فالتجربة الإبداعية الروائية الفلسطينية بوصفها تمثل جانباً من تطور الرواية العربية الحديثة فقد تنوعت مساربها وتعددت بتعدد مسارحها، لتشمل فلسطين وكل المنافي التي وطئ الفلسطينيون أراضها، وقد أكسب غنى التجربة وتنوعها المبدع الفلسطيني عمقا واتصالا بتجارب إنسانية نادراً ما تتاح لإنسان عانى مأساتيين، مأساة الاقتلاع من الوطن، ومأساة أخرى نتجت عنها، وهي تجربة اغترابه القسري عن الوطن وحنينه الدائم إليه"⁵.

ولذلك فإن هذا الواقع الذي يسري في النفس عبارات دفينه، يحرك هذه النفس، فيردها إلى الخارج في لحظة انفعالية أو شعورية، وبالتالي يخرج الواقع من النفس أكثر تعقيداً، وتشابكاً، ولا غرو في ذلك، فليست مهمة الأدب التفسير فقط، فهو ناتج عن ضغوط نفسية آيلة للانفجار، وهي ضغوط تجد نوافذها في فترة معينة من حياة الكاتب، إنه إنسان يضغط عليه حس عظيم بضرورة الكتابة.

في دراسة الكاتب صالح خليل أبو أصبع لرواية: "البطولة المفردة" ورواية: قدح من النفط" لمحمد سلام جميعان التي كتبت عام 1982. ونشرت عام 1987. يتجسد فيه "الموقف المفرد برحلة ظافر الأحمد المدرس الذي يهاجر إلى السعودية بحثاً عن الخلاص، فلا يلقي سوى المعاناة التي جاء يحملها على كاهليه"⁶

وهنا ينتقل المنفى من صورة حقيقة موضوعية إلى صورة غيرية - ذاتية، وذاكرة فنية، لكونه يُدرك إدراكاً ذاتياً، ويُعامل حدسياً وعندها يدخل مجال الوهم والخيال والحلم، ليكون كملجأ أو كحل "للمبدع حين يريد الهروب، أو حين يعمد إلى عالم غريب عن واقعه، لِيُسقط عليه رؤاه التي يخشى معالجتها، وهنا يتحول المكان إلى رمز وقناع

يخفي المباشرة، ويسمح لفكر المبدع أن يتسرب من خلاله"⁷، كما أنه قد يكون "تقنية يتجاوز بها المبدع واقعه، فيصعد إلى السماء والفضاء، وقد ينزل على أعماق الأرض والبحار، ليثبت الرمز نفسه، ويهرب، بل ينسرب من خلاله أو ينقده"⁸ يعالج الأديب الفلسطيني واقعا سياسيا متعفنا، مستترا وراء قناع المكان، " وهكذا كانت تجارب الروائيين تنقل إلينا تنقل إلينا صورة لقساوة المكان وانعكاساته على الحياة التي عاشوها، ونقلت غلينا بمرارة تجاربهم الشخصية وصورة لحياتهم وطموحاتهم، وإطاحاتهم"⁹

1.2- المكان كمنبع للإبداع في كتاب الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية

مكانا دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية للدكتور صالح خليل أبو أصبح:

كل محتويات المكان الجديد، بل وضرورياته، ترعب الأديب، وتضاعف من هواجس الخوف لديه. ومهما يقال أن خوف الروائي لا مبرر له، إلا أن عملية الاستبطان وقرون الاستشعار التي زُود بها جعلنا نتعاطف معه ونقدر خوفه؛ رحلة ظافر الأحمد ليست رحلة تجسد معاناة الفلسطيني في منفاه في سعيه للخلاص المادي كجزء من المقاومة ليكسب الحياة، بل هي رحلة ليس فيها سوى الخسارة تلك التي عبر عنها "أبو عرب" ليعلن لظافر الأحمد أن هذا الدرب لا يقود إلى مجابهة الواقع العفن بل يقود إلى أن نصبح نحن العفونة ونتحول إلى رقيق ابيض للنفط"¹⁰. ذلك لأن معاينة الشاعر للمكان، هي معاينة حدسية، فوق شعورية، تتجاوز الإدراك الخارجي لتتلون بحقيقة الذات. إنها معاناة سيزيفية لا متناهية، وعلى هذا فالمكان بنظر الروائي حدس للمطلق اللامتناهي، لأن الإنسان العادي يتعامل مع الأشياء التي تلج عليه، لكنه يتجاوزها إلى التفكير والتأمل، راغبا من خلال ذلك في البقاء المعنوي لا المادي أو الجسدي.

تساءل المؤلف : هل للمكان دوره في الرواية؟ أجاب بأن المكان أعطى نكهة مأساوية داخل الرواية. والمكان – بنظر الروائي- ليس مجرد أبعاد وإمتدادات هندسية (في الطول والعرض والارتفاع...) أو طبيعة ايكولوجية، يستطيع الإنسان أن يألفها أو يأمن إليها بسهولة، عن طريق العادة والتكرار الرتيب، بل هو قبل كل شيء تلك

المساحة التي يؤطرها الإحساس والشعور الإنساني؛ باعتباره لون حقيقة الذات ومنبعها في تكوين الفرد ذاتياً واجتماعياً. فالذات تعترف بالمكان، ولكنه اعتراف خصوصي لا منطقي، نابع من الذات أساساً، وملون برؤيتها، ذلك لأن الفن بعامة والرواية بخاصة لا يعترف بالمنطق أو العقلانية الموضوعية.

فالمكان في الرواية إن هو إلا المكان كموضوع، تضاف إليه الذات بكل محتوياتها، وبذا نستطيع الجزم، أنه لا وجود - في الرواية - للمكان الموضوعي، لأنه، إن هو إلا مكان منطور إليه بعين الذات، مُدرك إدراكاً كلياً ومعقداً في الآن نفسه، موحداً بها أو منفصلاً عنها، وبالتالي أليفاً لديها أو معادٍ لها.

3.2- الخوف في المكان:

فكرة الخوف تتشكل من خلال الهواجس والوساوس في الأماكن اللامألوفة أو نتيجة لتلك التصورات المهمة التي يحملها المغترب عن مكان المنفى، وهي فكرة أملتها الذات الساذجة وأطرتها بالاختلال النفسي، حتى لأن أمكنة المدينة ومعالمها كالشوارع، والجدران العالية، والأضواء الخاطفة للبصر، أضحت أشباحاً مخيفة، ومصدر إزعاج وقلق للذات، بل والشعور بالعدمية، وهذا كله ناتج عن نزعة الخوف اللاشعورية السالفة الذكر؛ فالخائف يرى أشباحاً قائمة كما يراها في حال السلامة بالحقيقة، أو يسمع أصواتاً كذلك، فإذا تدارك التميز والتعقل شيئاً من ذلك جذب المتخيلة بالتنبيه واضمحلت تلك الصور والخيالات، ولكن ذلك الانتباه لا يحدث لأن الذات هنا واقعة تحت صدمة واقع انفعالي مدهش وغريب، ومخدّر ومخيف، وهذا يتجلى للفلسطينيين "حين هاجروا إلى الجزيرة العربية وجدوا أنّها ليست أرض اللبن والعسل التي هجّروا منها، ولكنها كانت أرض النفط، والحقى والبراري الموحشة، والطبيعة القاسية قسوة الصحراء ولظى حرّها"¹¹ ولذلك فحس الضياع والخوف يبقى ملازماً لهم، ما دامت ملازمة لهذا المكان الذي تجهل معالمه، وما دامت غير مُدركة له كما هو في الواقع، يضاف إليها تلك اللامبالاة التي يقابل بها الوافد من قبل أهلها.

وهنا ممكن الصعوبة في دراسة المكان لدبالروائيين المعاصرين دفعة واحدة وتحت دلالات محددة - وبخاصة بالنسبة لدراسة تطمح لأن تشمل أطول فترة ممكنة

لظاهرة السرد المعاصر، وجل أقطاره العربية- فاستقصاء النصوص ذات الطابع المكاني، توجي بوجود تمايز كبير بين روائي وآخر، وتجعلنا ندرك أننا بإزاء "تجليات شتى لظاهرة واحدة هي روح العصر المبنية على شروط البيئة الجغرافية والطبيعية"¹² التي تحتويهم، ولكن لا مندوحة لنا -ونزولا عند ما تقتضيه صرامة المنهج- أن نحاول قدر الإمكان جمع رؤاهم وصورهم المكانية، وإحساساتهم فيها، وحصرها تحت دلالات محددة، محاولين الإشارة إلى كل فرق أو تميّز يتبدى لنا -على الرغم من خصوصية رؤية كل منهم - على اعتبار أن بنية واحد وعصرا واحدا، يُفرز مضامين ورؤى، إذا استحال تشابها، فهي على الأقل متقاربة، وما هذا الفرق -في اعتقادنا- سوى نتيجة التفاوت في ملكة الإبداع، وقابلية السارد إزاء عناصر المكان، وامتصاص مضامينه والقدرة على تشكيلها المتفرد، لأن المكان هو أساس الإبداع والدينامية الفاعلة في عملية التصوّر.

وهو في كل الأحوال خاضع -دوما- لرؤية الذات وتشكيلاتها، مستسلم لتوهماتهما وخيالاتهما- وإن كان هذا مخالفا للواقع تماما. فللروائي "كل الحق في تشكيل الطبيعة، والتلاعب بمفرداتها الناجزة...كيفما شاء ووفقا لتصوراته الخاصة"¹³ وعليه فالمكان هو الفضاء الأمثل الذي تنهل منه عملية الإبداع لدى الشاعر تصوراتها وشعورها، وذلك عبر عملية التجادل بينه وبين الذات.

وهكذا يمكننا القول إن الرواية الفلسطينية في المنفى قدمت لنا تجربة خاصة حينما جعلت الجزيرة العربية مكانا لها . "واستطاع هذا المكان أن يفرز لنا في الرواية شخصيات تمتلك الكثير من المعاناة ، والخيبة والبحث عن التحرر والانعتاق من أسر المكان ...باختصار كان للمكان تأثيره الواضح في رواية المنفى التي مسرحت أحداثها على أرض الجزيرة ، وكانت لهذه الروايات أشكال متميزة"¹⁴ .

فالمكان هو عنصر ضاغط على الذات -كما سبق القول- مُصيغٌ لها، وهذه الخبرة تتشرب كل ما يعطيه هذا المحيط لتعيد صياغته، وتشكيله من جديد وفقا لمنطلقاتها.

2.3 مكان الحضور والغياب (الهنا والهناك):

إن العيش في (الهناك) أكثر تغلغلاً في بواطن النفس، وأشد التصاقاً بأنماطها الينبوعية الأصيلة "فهو ذو جذر نفسي يمت إلى باطن الإنسان وأعماقه بصلة وثقى"¹⁵ وأشد ما يتجلى "التجربة الإبداعية الروائية الفلسطينية بوصفها تمثل جانباً من تطور الرواية العربية الحديثة فقد تنوعت مسارحها وتعددت بتعدد مسارحها، لتشمل فلسطين وكل المنافي التي وطئ الفلسطينيون أراضها، وقد أكسب غنى التجربة وتنوعها المبدع الفلسطيني عمقا واتصالاً بتجارب إنسانية نادراً ما تتاح لإنسان عانى مأساتيين، مأساة الاقتلاع من الوطن، ومأساة أخرى نتجت عنها، وهي تجربة اغترابه القسري عن الوطن وحنينه الدائم إليه"¹⁶. هنا وهناك تعني ما يرسمه العقل الباطن باصطلاحاته الخاصة ورموزه من صور مثقلة من خلال العلاقات المنطقية وتشويش للوعي الظاهر، وقضاء على تخوم الزمان والمكان، وتجاوز أو انفلات في حدود الذات والموضوع ودمج للكل في منظور كشفي جديد، تجلت في القول: "فيتذكر كيف جاء من جدة إلى القنفذة في صندوق سيارة الجيب المحملة بالثلج،...فها هو الشخص يخاطب نفسه "ذاته الأخرى" الراغبة في الانطلاق وفي الفرار أو الرحيل أو الحرية"¹⁷.

3. الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى النتائج التالية:

- تبرز عناية الكاتب بالتركيز في وصف الأحداث، وعدم الإفاضة في شرح المقدمات والذيل، حتى أن كل جملة أو عبارة تحمل في الغالب معنى جديداً، الأمر الذي يضطر القارئ إلى ضرورة اليقظة، والتنبه إلى متابعة السياق..
- من الوسائل التي وظفها الكاتب "الحوار" و"الحوار في العمل الروائي يساعد الروائي على إبراز حقيقة الشخصية الروائية.
- يرمز الكاتب إلى الشعب العربي الفلسطيني، ولمعاناة هذا الشعب قبل النكبة وبعدها، وللتأثير النفسي المحيط بهم. فهو الذي يرفض الاستسلام، يدعو من أجل التغيير، فهو يمثل هذا الشعب في كل حالاته في الضعف والقوة.
- حاول الكاتب أن يرتفع بالشخصيات إلى مستوى الرمز العام لشخصية الإنسان العربي في الوطن العربي، وخوضه الصراع والمكابدة كقدر ومصير، إنه مثال لواقع

عربي، ونحن نجد في صفاته رموزاً للمكونات السلبية للنفسية العربية، ولطريقة معالجتها للحياة.

-لما سبق فقد لجأ الكاتب إلى استخدام الرمز، بحيث لا يكون الرمز مطابقاً هندسياً للواقع، بل يهدف في النهاية إلى التعبير عن جوهره، وتقديم إحياءات رمزية تساهم في الكشف عن هذا الجوهر..

-يتضح لنا من ذلك أن الرمز في الرواية الفلسطينية مرتبط بالوسط المعاش، سواء أكان وسطاً اجتماعياً أم ثقافياً أم سياسياً، وخاصة إذا كان المؤلف من الذين يسعون إلى اتخاذ موقف معين من السلطة الحاكمة محاولاً التنويه إلى ما يحدث من تصادم بين السلطة الحاكمة وبين الشعب الفلسطيني، فهو -أي الروائي- يعبر عن موقف الشعب تجاه الدولة الجديدة، ومن هنا يحاول كاتبنا بث روح التمرد والثورة في أبناء شعبه، والرمز بطبيعته يزدهر في ظل القمع والحكم الظالم..

-ربما كان هذا الظلم، وما نتج عنه من ظروف قائمة، هو الذي أوحى للكاتب بأن يصدر منجزه الذي يؤكد على أنّ الإنسانية تعيش انشطاراً في ظل الإمبريالية، فنحن نتعامل مع الآخر المتسلط بشكل غير واضح المعالم خاصة بعدما طرحت التجربة الكولونيالية العديد من القضايا المعقدة كإمكانية تعايش المستعمر مع المستعمر في فضاء واحد، وهذا وفقاً للشعار الذي رُفِع في عصر التنوير، غير أنّ القضية الفلسطينية تختلف عن باقي البلدان التي عانت من الاستعمار لأنّ الحرب القائمة داخل أراضي "يبوس" هي حرب وجودية جد معقدة.

4.قائمة المراجع:

-سامي أسعد: مفهوم المكان في المسرح المعاصر، مجلة عالم الفكر، مج 15، ع4، 1985.

-عز الدين إسماعيل: الصور الشعرية، مجلة (المجلة)، ع34، 1969.

-مجلة ألف، ع6، ربيع 1986، من المقدمة.

- مدحت الجيار، جماليات المكان في مسرح عبد الصبور، مجلة (ألف)، ع6.

- (نعيم اليافي : النقد التطبيقي في الشعر الحديث، الموقف الأدبي، دمشق ع181، 182، 183، حزيران تموز 1986/س16.

- صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكاناً دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية .

- يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، تر/ سيزا القاسم، مجلة (ألف) البلاغة المقارنة، ع6، 1986.

هوامش البحث:

¹ يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، تر/ سيزا القاسم، مجلة (ألف) البلاغة المقارنة، ع6، 1986، ص 79

² سامي أسعد: مفهوم المكان في المسرح المعاصر، مجلة عالم الفكر، مج 15، ع4، 1985، ص 95

³ - مجلة ألف، ع6، ربيع 1986، من المقدمة، ص 6

⁴ صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكاناً دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية، ص11.

⁵ صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكاناً دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية، ص: 6.

⁶ صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكاناً دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية، ص153.

⁷ - مدحت الجيار، جماليات المكان في مسرح عبد الصبور، مجلة (ألف)، ع6، ص 28

⁸ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكاناً دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية، ص10

¹⁰ صالح خليل أبو أصبع، المرجع نفسه، ص154

¹¹ - صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكاناً دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية، ص11

¹² يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي، ص 67

¹³ عز الدين إسماعيل: الصور الشعرية، مجلة (المجلة)، ع34، 1969

¹⁴ صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكاناً دراسة في التجربة الروائية الفلسطينية، ص179

¹⁵ نعيم اليافي : النقد التطبيقي في الشعر الحديث، الموقف الأدبي، دمشق ع181، 182، 183، حزيران تموز 1986/س16، ص 47.

¹⁶ -صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى الجزيرة العربية مكانا دراسة في التجلرية الروائية

الفلسطينية، ص: 6

¹⁷ صالح خليل أبو أصبع، المرجع نفسه، ص: 78